خطوات الطريق إلى الله

يسأل كثير من المسلمين، أن الشهوات تغلب عليهم، ثم يبصرون فيستغفرون ويرجعون ويتركون، ثم فورًا ينسون ويعودون إلى الشهوات كما كان الحال، فما المخرج من ذلك؟ وقد تتكرر على الإنسان إلى أن يكاد ييأس من نفسه ومن هذا الأمر، لا أقول ييأس من روح الله فـ {إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف:87]

إنما قد كثرت الذنوب وأحاطت بنا المعاصي ومالت النفس إلى الشهوات؛ ردعها المسلم فلم ترتدع، وكرر عليها فلم تفعل، وكلما ذهب بها فرارًا إلى الله والى طريق الله خالفته وعصته، ورجعت به إلى طريق الشهوات {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ} [آل عمران:14]، فكيف المخرج من ذلك؟

قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} [الأحزاب:40- 44]

آياتٌ نتلوها وكثير منا يحفظها، وقفت عندها ورأيت فيها دستورًا في خطوات إذا ما فعلته أيها المسلم أعانك على طريق الله، فقد أرسل الله لك رسولا ولم يجعله أبًا لأحد من الرجال، ليكون خالصًا في أبوته لأمته، وفيما رواه الدارمي في سننه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا لَكُمْ مِثْلُ الوالِدِ للوَلَدِ؛ أُعَلِّمُكُمْ)، وقال تعالى: {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب:6] فأي شرف أعظم من هذا..!

obeikandi.com

فالخطوة الأولى: أن تجعل نفسك ابنًا للنبي حيث إن الله سبحانه وتعالى قد خلاه من الولد، وماتوا جميعًا في حياته صغارًا أطفالاً ولم يبلغوا دَور الرجولة، اعتز بنبيك اعتزازك بأبيك، بل أكثر من ذلك بكثير، بحيث لا تكون هناك مقارنة بين أبيك وبين النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تصاب العلاقة بينك وبين أبيك بشيء من الكدر أو الفتور، لكنها لا تصاب بينك وبين حبيب الله صلى الله عليه وسلم؛ استحضر صورته أمامك بالليل والنهار، عش معه فإن هذا سيعينك بلا شك على كل خطوات الطريق إلى الله.

وبعد ما أنزلتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة المصاحب لك في كل وقت وحين، فإذ بك تستحي أن تفعل الذنب، وتستحي أن لا تكون هناك همة، وتستحي من أن لا تذكر الله أو أن تنقطع عن ذكره سبحانه وتعالى– لأن أباك يراقبك ولأنه معك ولأنه مصاحبك- تستطيع أن تتخيله، لكن لا تستطيع أن تتخيل ربك؛ لأنها وثنية مفرطة، أما هذا فهو الذي جعله الله واسطة بينه وبيننا– ولا واسطة بيننا وبينه سبحانه وتعالى، لكن لا يكلمنا– فاجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم والدك ومصاحبك.

الخطوة الثانية: بعد ذلك أن تذكر الله ذكراً كثيرا بكرة وأصيلا، (لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ الله) (مسند الإمام أحمد).

الخطوة الثالثة: أن ترى دائرة نور ودائرة ظلام، النور فيه طاقة وفيه بيان وفيه حلاوة وله طلاوة يكشف عن الحقائق، والظلام فيه برودة ورائحته كريهة وأحواله مردية، والله جل جلاله يثني عليك لإتباعك لنبيك، ولإدراكك النور والظلمة، ولذكرك له كثيرا، فينقلك من الظلام إلى النور، ومن الضيق إلى السعة، ومن الاضطراب إلى الأمن والأمان والسلام في الدنيا أولاً، يعنى ستأخذ نصيبك هنا لأن كثيرًا من الناس قد تعلقت قلوبهم بالدنيا، ولا يمكن أن نجذبهم إلى الله إلا منها، في

الدنيا سيعطيك الله تعالى، وله ملكوت السموات والأرض، ثم بعد ذلك يعطيك في الآخرة.

ثم انظر في هذه الكلمات التي لا يمكن لبشر أن يكتبها، إنما هي من عند الله {وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} فسيكون فيه إعداد؛ عندما تعد لضيفك الطعام فإنك تتجهز له، بخلاف الطارق الذي يأتي من غير إعداد فإنك تقدم له ما وجد كثر أو قل، لكنه هنا فيه إعداد. والكرم حب والحب عطاء، والكرم في غير مقابل، فالله يعطيك من غير مقابل من غير حساب، والكرم مستمر، و(كريم) أي نفيس جيد غالٍ في مادته؛ فالأجر في مادته سيكون نفيسًا وفى شكله وفى مضمونه وفى أثره، وفى تلذذك به، كلمة وُصف بها القرآن "القرآن الكريم"؛ لأنه لا مثيل له، وحفظ الله سبحانه وتعالى من أن نصف بالكرم كتابًا غيره؛ فيقولون كتاب مبرور أو كتاب ثمين إلا كلمة الكريم؛ فإنها لا تستعمل في خطابات الملوك، والحمد لله رب العالمين، (كريم) هذه كلمة واحدة تجعلك تخرج من الدنيا بحذافيرها.

أيها المسلم، إذا أردت أن تُنقل من دوامة الشهوات إلى طريق الله فعليك باتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم والدًا لك، ومصاحبًا في طريقك إلى الله؛ فإنه هو المبشر والنذير، وهو المبشر والشاهد، وهو المبشر والآخذ بيدك إليه سبحانه، واذكر الله ذكرًا كثيرا، وانتقل من دائرة الظلمة إلى دائرة النور بصلاة الله وملائكته عليك، ثم بعد ذلك استحضر نفاسة أجر الآخرة في مقابلة تفاهة الدنيا بما فيها ومن فيها، فإذا فهمت ذلك واستوعبته وغيرت مفهومك عن الحياة الدنيا وعن الآخرة، واستصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم معك كل يوم- فسيعينك ذلك على نفسك في طريق ربك.

روح الشريعة الأدب :

إن روح الشريعة الأدب مع الله ومع النفس ومع الناس، وافتقد المسلمون كثيرًا من الأدب، وصارت عندهم العبادة عادة، وتخلوا عن القيم والأخلاق التي قال

عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ) (رواه البيهقي في الكبرى)، وهو الذي وصفه ربه فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم :4].

تركنا رسول الله صلى الله عليه و سلم وبين لنا أصول الأدب في أحاديث أربعة: أولها: (مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ) (رواه مالك في موطئه)، وثانيها: (لا تغضَبْ ولَكَ الجَنَّة) (أخرجه الطبراني في معجمه)، وثالثها: (لا يُؤْمِنُ أحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (البخاري)، ورابعها: (مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخِر فليَقلْ خيرًا أو ليَصمُت) (البخاري) يقول أبو زيد القيرواني رضي الله تعالى عنه وهو من أئمة المالكية: هذه الأربع هي أصول الأدب.

هذه الأربعة هي أسس الخير والأدب، إذا تخلق بها المسلم كان مسلمًا حقًّا، نرى فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم قد ربط الأدب بالعقيدة وقد فعَّل العقيدة في حياتنا وفي واقعنا وسلوكنا اليومي، وفعَّل العقيدة في نفوسنا وداخلنا حتى نسيطر على أنفسنا لله رب العالمين.

انظر إلى نفسك وقد استغنيتَ عن اللغو وفضول الكلام، وقد استغنيت عن تضييع الأوقات، وقد استغنيت عن كل فعل باطل. ربط رسول الله صلى الله عليه و سلم هذا بحسن الإسلام - على الرغم من أنه من حسن الحياة والمعيشة - فلم يقل من حسن حياة أحدكم أو معاش أحدكم بل جعله من أصل الدين لأن هذا المؤدَّب سيكون قد توكل على الله وهذا المؤدَّب سيكون في قلبه رضا لله وعن الله {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ} [البينة:8].

وهذا أدبٌ عالٍ، لا نراه في حياتنا حيث يتصدر كل إنسان في غير موضعه وعمله، فيهرف بما لا يعرف، ويتكلم بما لا يتقن، وكل ذلك محسوب عليه لا له، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كَلامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لا لَهُ إِلا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرُ الله)(أخرجه الترمذي في سننه).

وإذا أنت فعلت هذا فإن الناس لا يتركونك، ولكن يستفزونك ليخرجوك عن ذلك الخُلق، فيأتي الحديث الثاني، ويربط عدم الغضب بالجنة، والغضب حجاب وحائل على ذهن الإنسان يمنعه من التفكر الصحيح ومن التدبر، ومن اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، والغضب يجعل الإنسان يتهور في حياته، والغضب يجعل الإنسان غير راض عن الله، وربنا سبحانه وتعالى يستحق منا الرضا، فهو الذي خلق وهو الذي أمر وهو الذي من أسمائه الصبور، والله سبحانه وتعالى يعلمنا على لسان نبينا بل والأنبياء من قبله: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف:18]، هذا الهدوء النفسي يجعلك أكثر قدرة على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب والتصرف السليم الصحيح في الوقت المَليح.

فالأدب كما ترون يكون مع النفس، ويكون مع الله سبحانه وتعالى، ويكون مع الخلق، لكنك لا تستطيع أن تكون مؤدبًا مع الله إلا إذا وصلت إلى الرضا والتسليم، ووصلت إلى التوكل الحق عليه سبحانه، والرضا والتسليم بقضائه وقدره، والتوكل عليه فيما يكون من الأيام لا يكون إذا غضبت؛ لأنك تكون قد نسيت ربك، ولأنك تكون في حالة قد رأيت فيها نفسك، ولأنك لا تستطيع حينئذ أن تسيطر عليها ولا أن تأمرها بما أمرك الله به، ولا أن تقف عند حدود ما نهاك الله عنه، (لا تغضَبْ) ليس معناه ألا يرد الغضب على قلبك، إنما معناه ألا يسيطر الغضب عليك (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ) -الذي يصرع الناس بجسده القوي وبنيانه المتين- (إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) (البخاري) لا يكون في كون الله إلا ما أراد، فعلامِ تغضب؟! هذا الذي غضبت منه- أوْ لَهُ- إنما هو بقدر الله...

ويأتي الحديث الثالث حتى تتعدى بخيرك إلى الآخرين، وهذه قد افتقدناها فقامت في قلوبنا أنانية، نرى أنفسنا ولا نرى الناس، ولا يهمنا أن نحمل في قلوبنا همهم، ولا يهمنا أن نحمل في قلوبنا مصالحهم، وهذه مصيبة كبرى، تفتت الأمة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم: (لينوا في أيدي إخوانكم) (مسند الإمام

أحمد) ، والتي أمرنا حينما نقوم إلى الصلاة لرب العالمين أن نصطف صفًّا واحدًا يشير إلى قلب واحد.

ويأتي الحديث الرابع ليتمم منابع الخير وأساس الأدب، لنخلي ألسنتنا وأقوالنا وأفعالنا من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وشهادة الزور ومن اللغو، إذن فقد أصبحت مُعتَمَدًا للخير، تَعَوَّدَ الناسُ أنك لا تقول إلا حقًّا، تَعَوَّدَ الناسُ أنك لا تقول الباطل، تَعَوَّدَ الناسُ أنك إذا تكلمت فإنما تأمر بالمعروف أو تنهى عن المنكر، تَعَوَّدَ الناسُ أنك إنما تأمر بالخير: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج:77].

أيها المسلم .. ارجع مرة ثانية إلى أدب الإسلام؛ فإن الإسلام كله حلاوة، وعليه طلاوة يأمر بالنظافة وبالمعروف وبالجمال، وينهى عن القبح وقلة الحياء وقلة الأدب..؛

أحاديث أربعة يجعلها لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم نبراسًا في طريقنا إلى الله، وفي طريقنا إلى الحق، وفي طريقنا في الدنيا، فاجعلوها نبراسًا لكم، ودربوا أنفسكم عليها.

***

openkanal.com